من أعلام القضاء

العلامة الشيخ فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك. رحمه الله.

بقلم فضيلة الشيخ حماد بن عبدالله بن محمد الحماد. كاتب عدل الخرج*

نسبه:

هو العالم الجليل الرباني الفقيه المحقق النحرير الشيخ فيصل بن عبدالعزيز بن فيصل بن حمد بن مبارك بن عبدالرحمن بن حسن بن عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالرحمن بن راشد آل حمد، من عنزة العمارات المنتمي إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.

ولادته ونشأته:

ولد هذا العالم في بلدة حريملاء عاصمة الشعيب عام ١٣١٣هـ، وبعد إتمامه سبع سنين من عمره انتقل مع أسرته وبعض أقاربه إلى الرياض، وبعد سنتين تقريباً من انتقالهم شارك والده مع الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ في وقعة البكيرية عام ١٣٢٢هـ، فقتل في تلك الوقعة، فكفله عمه محمد بن عبدالعزيز المبارك، وكان رجلاً صالحاً، فرباه تربية حسنة ونشَّأه نشأة صالحة.

---

* متخرج من كلية الشريعة بالرياض، عمل في كتابة عدل جدة، وكتابة عدل الرياض، وعمل في إدارة البحوث بالوزارة بالندب، ثم نقل إلى كتابة عدل الخرج، تولى الإمامة والخطابة والمشاركة في مجالات الدعوة في جدة والرياض ولا يزال.

طلبه للعلم وأبرز شيوخه:

تلقى القرآن الكريم في سن التمييز على مقرىء يقال له عبدالعزيز الخيال، وفي عام ١٣٣١هـ عاد إلى بلده حريملاء فشرع في طلب العلم، فكان أول ما اهتم به مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكان شيخه فيها جده لأمه الشيخ ناصر بن محمد بن ناصر، كما حفظ القرآن في تلك الحقبة عن ظهر قلب، وقرأ في الحديث على عمه الشيخ محمد بن فيصل بن مبارك، وعلى قاضي بلدان المحمل الشيخ عبدالله بن محمد الحجازي، وعلى الشيخ عبدالله بن فيصل الدوسري في الأصول والفروع.

ثم عاد إلى الرياض فقرأ على العلامة الشيخ عبدالله بن عبداللطيف في كتاب التوحيد والعقيدة الواسطية وشرح الطحاوية، وقرأ على العلامة الشيخ سعد بن عتيق في الفقه والحديث، وعلى الشيخ عبدالرحمن بن داود الفرائض، وعلى الشيخ حمد ابن فارس النحو، وانتقل إلى المجمعة ليأخذ عن قاضيها العلامة الشيخ عبداله العنقري، ثم سافر إلى الأحساء فقرأ على قاضي الأحساء الشيخ عبدالعزيز بن بشر، ثم واصل سيره إلى قطر، فقرأ على العلامة الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع، ثم عاد إلى الرياض فقرأ على سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ والشيخ عبدالعزيز النمر، حتى نبغ في عدة فنون وعلوم، وأجيز بالرواية عن العنقري وابن عتيق وفقهاء الحنابلة.

أعماله:

أولاً: شارك في بعض الغزوات والمشاهد مع الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ وقد أبلى فيهن بلاءً حسناً، ومن تلك المشاهد معركة «جراب» التي دارت بين الملك عبدالعزيز آل سعود والأمير سعود بن عبدالعزيز آل رشيد عام ١٣٣٣هـ.

ثانياً: بعثه الملك عبدالعزيز واعظاً ومرشداً إلى بلدان الحجاز وتهامة، فنفع الله به.

ثالثاً: ولي القضاء في تسعة بلدان، وهي قضاء تثليث، ثم نقل إلى أبها، ثم نقل منها إلى قضاء قرية، ثم نقل منها إلى تربة، ثم طلبه أهالي أبها فأعيد إليها، ثم نقل إلى القنفذة،

ثم إلى الخرمة، ثم إلى رنية، ثم إلى ضرماء، ثم نقل منها إلى قضاء الجوف، وظل قاضياً في الجوف قرابة خمسة عشر عاماً حتى توفي ودفن بها.

رابعاً: جلس للتدريس والتعليم في جميع المدن والبلدان التي تولى القضاء فيها، وتقلد الإمامة والخطابة في جوامعها.

ومن أبرز طلابه قبل قدومه للجوف الشيخ عبدالرحمن سعد قاضي الرياض وحريملاء ـ رحمه الله ـ.

وكان أول ما قدم الجوف عام ١٣٦٢هـ بدأ ببناء جامع كبير على نفقته يعرف باسمه حتى الآن، وولي الإمامة والخطابة والتدريس فيه، وكان يكتظ بالطلبة والمستفيدين، وكان يعتني بتدريس القرآن والعقيدة والفقه والحديث والفرائض والنحو، ويوصي طلبته بحفظ القرآن والمتون، وكان يتمثل قول النبي ‹: «العلم ثلاثة وما سوى ذلك فضل: آية محكمة، وسنّة قائمة، وفريضة عادلة» وكان إذا لمس الأهلية في بعض طلابه عينه إماماً ومدرساً في أحد المساجد.

ومن أبرز طلابه الذين درسوا عليه في الجوف:

١ ـ الشيخ عبدالله بن عبدالوهاب من أهالي حريملاء، قدم معه إلى الجوف، وكان معه في تنقلاته قبل ذلك، وكان قد تولى كتابة الضبط وغيرها لديه في المحكمة، وكان محل ثقة لديه مما جعله ينيبه في كثير من الأعمال، وبعد وفاة المترجم له ولي القضاء في عدة بلدان ثم أحيل إلى التقاعد.

٢ ـ الشيخ عبدالعزيز العقل، تولى العمل في الدعوة والتدريس في الجوف حتى أحيل للتقاعد، وقد تولى إمامة أحد المساجد بالجوف.

٣ ـ الشيخ حمود بن متروك البلهيد، تولى القضاء في الجوف إضافة إلى إمامته لأحد الجوامع بالجوف.

٤ ـ الشيخ صالح بن متروك البلهيد، تولى إدارة تعليم البنات بالجوف، ثم أحيل

للتقاعد، وقد خلف شيخه المترجم له في إمامة مسجده.

٥ـ الشيخ إسماعيل البلال الدرعان، تولى كتابة العدل في الجوف، ثم أحيل للتقاعد، وهو إمام لأحد المساجد بالجوف.

٦ـ الشيخ عبدالله الحمود، تولى القضاء في عدة بلدان وفي محكمة التمييز.

٧ـ سعد بن محمد بن حسين، من أهالي حريملاء، قدم بعد مقدم المترجم له إلى الجوف ولازمه وقام بخدمته في صحته ومرضه، وحضر مجالس قضائه وتعليمه، تولى إمامة أحد المساجد في حريملاء.

٨ـ عبدالواحد الحموان، تولى إدارة الأحوال المدنية بالجوف، ثم أحيل إلى التقاعد.

٩ـ عارف مقطعي المسعر، تولى إدارة تعليم البنين بمنطقة الجوف.

هذا ما تيسر ذكره من الطلاب وإلا فَهُم كثر، نسأل الله أن ينفع بالحي منهم ويغفر لمن مات.

خامساً: قام الشيخ ـ رحمه الله ـ بتأليف وشرح واختصار كثير من الكتب والمتون في شتى العلوم والفنون الشرعية، حتى بلغت مؤلفاته عشرين مؤلفاً وهي:

١ـ توفيق الرحمن في دروس القرآن «أربعة أجزاء».

٢ـ لذة القارىء مختصر فتح البارىء «ثمانية مجلدات».

٣ـ بستان الأحبار مختصر نيل الأوطار.

٤ـ خلاصة الكلام شرح عمدة الأحكام.

٥ـ مختصر الكلام على بلوغ المرام.

٦ـ محاسن الدين على متن الأربعين «شرح الأربعين النووية».

٧ـ شرح رياض الصالحين «مخطوط».

٨ـ تعليم الأحب أحاديث النووي وابن رجب.

٩ـ كلمات السداد على متن الزاد.

١٠ـ المرتع المشبع في مواضع من الروض المربع «أربعة مجلدات».

١١ ـ الدلائل القاطعة في المواريث الواقعة .

١٢ ـ السبيكة الذهبية على متن الرحبية .

١٣ ـ القول الصائب في حكم بيع اللحم بالتمر الغائب .

١٤ ـ غذاء القلوب ومفرج الكروب «أذكار وأوراد» .

١٥ ـ القول في الكرة الجسيمة الموافق للفطر السليمة «مجلد» .

١٦ ـ تجارة المؤمنين في المرابحة مع رب العالمين .

١٧ ـ نصيحة دينية نافعة .

١٨ ـ مقام الرشاد بين التقليد والاجتهاد .

١٩ ـ مفتاح العربية على متن الأجرومية .

٢٠ ـ صلة الأحباب شرح ملحة الإعراب .

وقد وفق لتأليف هذه الكتب بعد توفيق الله لتهيؤ أمرين اثنين هما :

الأول : وجود مكتبة لديه تحوي نفائس المخطوطات والمطبوعات .

الآخر : اقتطاع جزء من وقته يومياً للقراءة والتأليف ، وذلك بعد إشراق الشمس إلى قبيل خروجه لمجلس القضاء ، وهذا الوقت من أكثر الأوقات بركة ، وأشدها استحضاراً للذهن والفكر .

صفاته الخلْقية والخُلقية:

أما عن صفاته الخلقية ، فقد كان أبيض البشرة مشوباً بحمرة قليلاً ، متوسط القامة ، ويميل إلى الطول قليلاً ، حسن الوجه ذا لحية كثة ، ربعة من الرجال ، يعتني بلبس العمامة البيضاء .

أما صفاته الخُلقية فقد كان ذا خلق رفيع كريم ، يمتاز بلين الجانب وبشاشة الوجه ، ولا يغضب إلا إذا انتهكت محارم الله ، ولا تأخذه في الله لومة لائم ، يتوخى النصح والتعليم والدعوة إلى سبيله والعدل في حكمه ، زاهداً في حطام الدنيا ، راغباً في الدار الباقية ،

يظهر ذلك في مأكله ومشربه ومسكنه، لم يخلف بعد وفاته ملكاً أو تجارة أو مالاً كثيراً.

مرضه ووفاته:

أصيب آخر حياته بمرض تضخم القلب، ولازمه المرض قرابة السنتين، رفض في أول مرضه العلاج، ولما علم الملك سعود ـ رحمه الله ـ بمرضه أصدر أمره بعلاجه، وقد تم عرض حالته على المستشفيات في الداخل والخارج «مصر» وتلقى العلاج، ولكن لم يأذن الله بالشفاء، وما زال صابراً محتسباً حتى لقي ربه ليلة الجمعة الموافق ١٦/ ١١/ ١٣٧٦هـ عن عمر يناهز ثلاثة وستين عاماً، وقد عمّ الناس الحزن على فقده، وصلي عليه بعد صلاة الجمعة في مسجده بالجوف، وشيعه الناس إلى المقبرة التي اكتظت بالمشيعين.

عقبه:

خلف ستاً من البنات.

وخلف علماً غزيراً ومؤلفات نافعة وطلبة بررة، وذكراً حسناً ولسان صدق في الآخرين، ومثالاً للمقتدين، فرحمه الله رحمة واسعة، وحشرنا الله وإياه في زمرة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

هذه بعض ما تيسر جمعه وعرضه عن سيرة علم من أعلام العلم والقضاء في العهد السعودي اقتبستها من أفواه من عاصروه وصحبوه، ومن بعض ما كتب عن سيرته، ومن تلك المراجع التي استفدت منها:

١ ـ الترجمة الموجودة في مقدمة كتابه سابق الذكر «توفيق الرحمن في دروس القرآن» ط. دار العاصمة.

٢ ـ علماء نجد خلال ثمانية قرون للشيخ البسام ٥/ ٣٩٢ ط. العاصمة.

٣ ـ روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد لمحمد بن عثمان القاضي ٢/ ١٥٩ ط. الحلبي.

٤ ـ تاريخ اليمامة لعبد الله بن خميس ٥/ ١٩٤.